Journal of Alasmarya University: Human and Sharia Sciences
Vol. 34 No. 3 (September 2021) PP: 789-811
مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد (34) العدد 3 (سبتمبر 2021م) ص ص: 789-811

علاقات اليمن التجارية مع بلاد النهرين وأثرها الحضاري من عصر المكاربة إلى نهاية الألف الأول ق. م

سالمة خليفة الزروق

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزيتونة، ترهونة، ليبيا
salmaalzarog6@gmail.com

الملخص:

هدف البحث إلى دراسة العلاقات التجارية بين اليمن وبلاد الرافدين (العراق القديم)، منذ عصر المكاربة حتى نهاية الألف الأول ق.م، والتي ظهرت جلياً خلال العصرين الآشوري الحديث والبابلي الحديث، وانتقلت خلالها الكثير من التأثيرات الحضارية المتبادلة بينهما والمتمثلة في التأثيرات الدينية والفنية، حيث أن التجارة قديماً كانت حلقة وصل حضارية أولى بين ممالك مناطق الشرق الأدنى القديم، حيث لم يقتصر دورها على مجرد نقل السلع التجارية بل تعدى ذلك إلى تبادل كافة المظاهر الحضارية، واستخدم لتحقيق اهداف البحث المنهج السردي التحليلي، ومن نتائجه ان ازدهار التجارة بين اليمن وبلاد الرافدين توضح ان العرب لم يكونوا مجرد بدو رحل قليلي التحضر، بل كانوا يتمتعوا بعقلية تجارية بارعة، بفضلها طافوا مختلف أرجاء الشرق الأدنى القديم، ناقلين من خلال ذلك الكثير من المظاهر الحضارية إلى تلك المناطق، بالإضافة الى أن جنوب بلاد العرب فيما قبل الميلاد لم يكن مجرد منطقة هامشية بمعزل عن الأحداث الكبرى التي تأثرت بها حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم، فقد عانت كغيرها من الممالك الحضارية الأخرى من التغيرات خاصة السياسية منها.

الكلمات المفتاحية: اليمن، بلاد الرافدين، التجارة، الطرق، السلع، المظاهر الحضارية.

مقدمة :

يتناول هذا البحث العلاقات التجارية بين اليمن وبلاد الرافدين ومدى تأثير هذه العلاقات على بعضهما البعض، منذ عصر المكاربة حتى نهاية الألف الأول ق.م، والتي تطورت جلياً خلال العصرين الآشوري الحديث والبابلي الحديث (الكلدي)، انتقلت خلالها الكثير من التأثيرات الحضارية المتبادلة بينهما والمتمثلة فى التأثيرات الدينية والفنية وغيرها، نتيجة لتطور هذه العلاقات.

وتكمن أهمية الموضوع في التركيز على تاريخ العلاقات التجارية وما نتج عنها بين منطقة جنوب شبه الجزيرة والمتمثلة في بلاد اليمن وبلاد الرافدين، وكذلك الدور الذي قام به التجار اليمنيون في نقل الكثير من المؤثرات الحضارية، ويمكن طرح إشكالية الدراسة في محاولة الإجابة على هذا السؤال وهو

ISSN: 2706-9524 (Print) ISSN: 2706-9532 (Online)

كيف كانت طبيعة تلك العلاقات وماهي التأثيرات التي انتقلت بينهما؟ ويقوم هذا البحث على العديد من التساؤلات تتمثل في الآتي:

– ما أثر العوامل الجغرافية في تشكيل تجارة اليمن القديم وبلاد الرافدين؟

– لماذا احتلت السلع اليمنية الصدارة في تجارة الشرق الأدنى القديم؟

– لماذا حرصت ممالك الشرق الأدنى القديم وخاصة بلاد الرافدين على تقوية علاقاتها التجارية باليمن ؟

– ما هو الدور الذي لعبته التجارة في نقل الكثير من المظاهر الحضارية المتبادلة مع شعب اليمن وبلاد الرافدين؟

وهناك مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت تاريخ بلاد اليمن وبلاد الرافدين بصفه عامه مثل: يوسف محمد عبدالله (أوراق في تاريخ اليمن وآثاره) وطه باقر(علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب) وعبد العزيز صالح (تاريخ شبة الجزيرة العربية في عصورها القديمة) وغيرهم، ولكن ركزت في دراستي على العلاقات التجارية بين البلدين وما ترتب عليها من انتقال مظاهر حضارية بينهما، وكذلك لم تحظ بلاد اليمن بالدراسة والبحث بالقدر الكافي الذى نالته باقي مناطق العالم القديم نظرا لصعوبة تاريخها القديم وندرة المعلومات عنه.

وقد تناولت هذا الموضوع في أربعة مباحث:

المبحث الأول: تناولت من خلاله موقع اليمن وبلاد الرافدين وأهميتهما.

المبحث الثاني: تناولت علاقات اليمن التجارية مع بلاد الرافدين .

المبحث الثالث: تناولت الطرق التجارية والبضائع.

المبحث الرابع: التأثيرات الحضارية كعوامل تأثير وتأثر.

الخاتمة: وتناولت فيها نتائج الدراسة.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج السردى والتحليلى الذى يقوم بسرد الأحداث وتحليلها، معتمدة في المقام الأول على النقوش المسندية وما تُشير إليه القطع الأثرية.

اولاً: المبحث الأول : الأهمية التاريخية لبلاد اليمن وبلاد الرافدين وأهميتهما:

1– الأهمية التاريخية لبلاد اليمن:

لعب اليمنيون دوراً تجارياً هاماً ومتميزاً في تاريخ العلاقات التجارية، وتعد اليمن أحد الأقسام المهمة في شبه جزيرة العرب، وقد عرفت تلك التسمية منذ أقدم العصور، وذلك طبقاً لما ورد بالمصادر القديمة، فقد عرفت في النقوش المسندية بـ " يمنت "، يتضح ذلك في اللقب الذي حمله ملك سبئي يدعي شمر

يهرعش (السعيد، 2005، ص1)، والذي لقب بـ " ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت "، ووردت كذلك بصيغة " يمن " في نقش للملك الآشوري أسرحدون (آشور أح إدينا **Aššur ahhe iddina**) (680- 669 ق.م) (تسيركسين، 1988، ص ص 28، 29).

كما ذكرت في العهد الجديد بتسمية قريبة من ذلك وهي " التيمن " (العهد الجديد، إنجيل لوقا، 11 :31)، أما لفظة " يمن " فقد أطلقها الإخباريون العرب، ومنهم المسعودي الذي علل ذلك بوقوعها على يمين الكعبة (المسعودي، 1987، ص69).

تقع اليمن بأقصى جنوب شبه الجزيرة العربية، ومن الصعب في هذا المقام وضع حدود دقيقة لليمن القديمة، إذ لم يرد بالنقوش المسندية ما يثبت حدودها حينذاك (علي، 1993، ص171)، ولكن يمكن القول بأنه كان يحدها من الشمال نجد والحجاز ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق عمان الحالية (القيسى، الشكري، 1981، ص7).

كان لهذا الموقع المتميز دوراً مهماً في تجارة اليمن القديمة، فوقوعها بالطريق الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية عند نقطة تقترب فيها القارة الآسيوية من قارة أفريقيا كان من شأنه جعل من اليمن حلقة اتصال بين هاتين القارتين ومعبراً اجتازه التجار منذُ أقدم العصور، هذا فضلا عن أهمية وقوعها على المحيط الهندي الذي جعل منها أيضاً نقطة التقاء تجاري بين آسيا وأفريقيا (الشربتلي،2004ف، ص34،35).

كذلك لعب هذا الموقع المتميز في جعلها همزة الوصل التجاري بين حضارات الشرق الأدنى القديم، علاوة على ذلك فقد كانت للسمة التجارية التي اتسمت بها الشعوب اليمنية الدور الهام في ازدهار تجارتها، وذلك طبقا لما ورد بالمصادر القديمة، وعلى رأسها القرآن الكريم، حيث ذكر جل وعلا المراكز التجارية التي كان ينتقل عبرها السبئيون ليلاً، وذلك في قوله تعالي : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ (سورة سبأ، ايه 18).

2- موقع بلاد الرافدين(*) وأهميته :

(*) بلاد الرافدين: تعددت آراء العديد من الباحثين بشأن بداية ظهور كلمة " عراق "، منهم من يرى أنها كلمة عربية الأصل وتعنى " الشاطئ " لكونها تقع على شاطئ نهرى دجلة والفرات، أو تعني " الجبل " أو " سفوح الجبل "، ويرى فريق آخر انها ترجع إلى أصل غير سومري أو جرزي، وتعنى الذين استوطنوا السهل الرسوبي قبل عصور التدوين، ويرجع اشتقاق الكلمة إلى " أوروك " أو " أنوك "، التي تعنى " المستوطن "، ويرى آخرون أنها ذات أصل أجنبي وتعنى " إيراء " بمعنى " الساحل "، وربما كان أول ظهور لكلمة عراق كان في حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد خلال العصر الكاشى، على هيئة " أريقا "، كما شاع استخدام الكلمة خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وظهر مصطلح " ميزوبوتاميا " (Mesopotamia) بمعنى " بلاد بين النهرين "، من قبل الكتاب الكلاسيكيين الإغريق والرومان (الدباغ، 1985، ص

حظيت بلاد الرافدين بموقع جغرافي لعب دوراً هاماً في سير تاريخه، حيث تقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وتربط القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأروبا (بصورة غير مباشرة) (باقر،2009م، ص 3). وهو موقع جغرافي متميز في منطقة متوسطة من العالم القديم، وكان لوقوعه بين البحر المتوسط والخليج العربي أن جعله الجسر الأرضي الذي يربط طرق المواصلات البحرية بين سكان بلاد الرافدين والمناطق المجاورة والبعيدة (الخلف، 1961م، ص9).

ولا شك أن هذا الموقع المتميز، قد سهل حركة التجارة والاتصال مع البلدان سواء بالتجارة أو الحملات العسكرية وانتقال التأثيرات الحضارية، وزاد من أهمية هذا الموقع اختراق نهري دجلة والفرات للعراق من شماله إلى جنوبه.

ارتبطت اليمن بعلاقات تجارية قديمة ووثيقة مع بلاد الرافدين تعود إلى عصر السومريين(*)،استناداً إلى نص سومري يرجع لعام 2500 ق.م، يرتبط بالملك " أراد ننار من أسرة لكش الثانية، ورد في هذا النص كلمة سبأ (**O'leary, 1927, p.87**)، ورغم أن هذا النقش لم يشر صراحة إلى وجود علاقات تجارية بين بلاد النهرين واليمن، إلا أن احتواءه على اسم سبأ، كما يبدو لي دليل على تلك العلاقات، فلا يمكن لهذا الملك السومري أن تكون له علاقات أخرى غير التجارية مع اليمن البعيدة كل البعد عن بلاد الرافدين.

ثانياً: علاقات اليمن التجارية مع بلاد الرافدين:

يمثل الألف الأول قبل الميلاد العصر الذهبي لعلاقات اليمن التجارية مع بلاد الرافدين، يبدو ذلك بوضوح خلال العصر الآشوري الحديث (911–612 ق.م) والأدلة على ذلك كثيرة ومتعددة، منها على سبيل المثال ذلك التشابه البالغ في المصطلحات التجارية السبئية والآشورية؛ فلفظة تاجر تُنطق عند

ص 13–14)، وورد اسم القسم الشمالي من العراق باسم " آرام نهريم " الذى يعنى " آرام النهرين " (بلاد ما بين النهرين) للدلالة على المنطقة المحضورة بين نهرى الفرات والخابور أو نهرى الباليخ والخابور أو كلا هذين النهرين مع نهر الفرات، واتسع هذا المدلول وتم اطلاقه على العراق بأكمله (التكوين، اصحاح 24: 10)، ويرى عبدالعزيز صالح أن مصطلح " بلاد النهرين "، وأن مصطلح " Parapotamia "، (بلاد الرافدين " أ و " حضارة الرافدين ") لا يُؤد المعنى كاملاً لأن روافد النهر تختلف عن النهر ذاته (صالح، 1999م، ص 433).

(*) يرجع عصر السومريين إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد تمكنوا من تأسيس حضارة زاهرة بجنوب بلاد النهرين، اتسمت خلالها حياتهم السياسية بأنها عبارة عن دويلات منفصلة ومتصارعة، وظلت هكذا حتى نجح لوجال زاجيري (2400 – 2371 ق. م) – ملك مدينة أوما السومرية – من توحيدهم تحت سلطانه، إلا أن دولته سقطت أمام هجمات الأكاديين الساميين: (موسكاتي،1986، ص ص 66– 67.)

السبئيين بـ " مكر " وعند الآشوريين بـ " تمكرو " (السنوي، 2000، ص 283). إلا أن أبرز الأدلة على العلاقات التجارية بين هاتين المنطقتين خلال تلك الفترة، تكمن بشكل جلي فيما احتوته النصوص الملكية الآشورية من إشارات واضحة تؤكد هذه العلاقات، لعل أقدمها تلك الي ترجع إلى الملك الآشوري تجلات ثبلزر الثالث (توكلتي أبيل إشارا **Tukulti apil Ešarra**) (744–727 ق.م)، والذي ذكر بأن السبئيين قد دفعوا إليه الجزية، والتي كانت في معظمها من البخور بجميع أنواعه وذهب وأبل (السنوي، 2000، ص287)، ولكن أشهر تلك النصوص الآشورية على الإطلاق هي التي تضمنتها حوليات الأسرة السرجونية، حيث يذكر سرجون الآشوري (شاروكين **Šarru ukin**)، كما أطلق على نفسه، بمعنى" الملك الصادق " (رو، 1986، ص 415) (721– 705 ق.م) في نص يعود إلى السنة الأولى من حكمة؛ بأنه قد تسلم الجزية من أتعمار (**Itamara**) (**Barton,1943, p.201**) (**ARAB, 2, PP. 7&27**)، والمعروف في النقوش السبئية باسم " يثع أمربين " (باقر، 1949، ص115)، وذلك طبقاً لما أجمع عليه مؤرخو الدراسات اليمنية القديمة، والذي يعد أشهر المكاربة السبئيين، وهو ابن المكرب " سمة علي " (عبد الله، 1990م، ص280)، وإليهما يرجع الفضل الأكبر في تشييد الجزء الرئيسي من سد مأرب (باقر، 1949، ص155)، هذا ويوجد أيضاً في هذا المضمار نقش آخر من عصر الأسرة السرجونية، يعود للملك الآشوري سنحاريب (سن أحه إريبا) بمعنى " الإله سن عوض (موت) الأشقاء "، لكونه لم يكن الأبن البكر لأبيه الملك سرجون (رو، 1986، ص 426) (705–681 ق.م)، يرجع في تاريخه إلى عام 685 ق.م، يذكر من خلاله أنه تسلم الجزية من الملك السبئي" كريبي أيلو "(**Doe ,1983، p.91**)، والذي يعتقد البعض بأنه الملك المكرب " كرب أيل وتار "[*]، وان كنت أستبعد ذلك، حيث أعتقد بأنه المكرب الشهير باسم " كرب أيل بين "، وذلك انطلاقاً من أن المكرب الأخير هو أبن " يثع أمر " الذي ذكره سرجون والد سنحاريب، إما عن نعته في كتابات سنحاريب بلقب ملك دون مكرب، فيرجع إلى أن الآشوريين كانوا ينظرون إلى هؤلاء الحكام السبئيين على أنهم ملوك، وبالتالي كانوا يخلعون عليهم لقب ملك، ومن المرجح بأن تلك العلاقات التي تمت بين الآشوريين والسبئيين طبقاً لما اعتقد كانت من منطلق مصالح تجارية بحته تربط بينهما، وليس كما يزعم هؤلاء الملوك الآشوريون عن خضوع سبئى لهم، تفاخراً في دفع حكام سبأ الجزية إليهم، وذلك طبقاً لما صوروه

[*] يعتبر كرب أيل وتار هو آخر حكام عصر المكاربة، وفاتح لبداية عصر الملوك السبئيين، فكان يُلقب في البداية بلقب " مكرب "، ثم بعد ذلك بلقب " ملك "، وقد اختلف المؤرخون حول فترة حكمه، إلا أن أشهر تلك الآراء ما حدده فلبي بالفترة الممتدة من عام (620 إلى600) ق.م، (علي، 1993م، ص286).

في حولياتهم، والتي لا تخرج عن كونها مجرد هدايا بعث بها الحكام السبئيون إلى آشور، لحاجتهم الملحة لتأمين قوافلهم التجارية المارة بشمال بلاد العرب، والتي تخضع لسلطان الجيوش الآشورية، هذا فضلاً إلى أن السبئيين كانت لهم أسواق تجارية أيضاً داخل بلاد الرافدين، ودائمي التردد إليها بقوافلهم التجارية، وذلك طبقاً لما ورد بنص عراقي عُثر عليه بمنطقة حُديثة بجنوب بلاد الرافدين (تقع على نهر الفرات الأوسط، وأطلق عليها الآشوريون اسم (بيراتا **biraata**)، جاء فيه ما نصه: « سمع الحاكم عند الظهيرة بنبأ القوافل القادمة من سبأ وتيماء الذين أتوا من أماكن نائية...» (الصفدي وآخرون، 1988م، ص401)، ولذا فمن أجل المصالح التجارية اليمنية كان ضرورياً على هذين الحاكمين السبئيين استمالة ملوك آشور وكسب ودهم، بتقديم تلك الهدايا، والتي رحب بها الآشوريون لحاجاتهم الملحة للسلع اليمنية، رغم أنهم أشاروا إليها في حولياتهم على أنها جزية كنوع من التفاخر، بل الأكثر من هذا فهناك من هؤلاء الملوك الآشوريين من يزعم في كتاباته بأنه قد استولى على اليمن، فعلي سبيل المثال يذكر الملك أسرحدون (آشور احه إد ين، الذى يعنى اسمه " الإله آشور أخاً ") (680–669 ق.م) عن ذلك بقوله: « ملوك وسط البحر من يا– دا– نا– نا، يا– من (أي اليمن) خضعت عند أقدامي» (تسيركين، 1988م ص 28–29) (رو، 1986، 433)، وبالطبع فإن مثل هذا النقش كما يبدو لا يمكن تأويله على أنه استولى على اليمن البعيدة كل البعد عن بلاد الرافدين، وعلى الارجح بأنه كان يقصد هنا مدينة العلا التي كانت تقطنها جالية معينية، والتي يبدو بأنها اضطرت للاعتراف بسلطانه عليها من أجل مصالحها التجارية التي تمثل عماد حياتها.

ثالثاً: الطرق التجارية والسلع:

1– الطرق التجارية :

لعبت الطبيعة الطبوغرافية دوراً بالغ الأهمية في جعل التجار اليمنيين يعتمدون في المقام الأول على طرق التجارة البرية دون النقل عبر البحر الأحمر، ربما يعود ذلك إلى صعوبة الملاحة فوق مياه هذا البحر، وكذلك كما يعتقد البعض بأن هذا البحر كان يعج بالقراصنة (أوليري، 1962، ص135)، وأن كان هناك من المؤرخين من يرجع السبب وراء اتجاه اليمنيين للاهتمام بالنقل التجاري البري، هو أن مملكة حضرموت اليمنية والمنتجة للبان – أبرز السلع اليمنية – كانت دولة داخلية يهمها في المقام الأول بأن يكون النقل برياً، حتى أنها كانت تجبر التجار على المرور بمدنها للحصول على الضرائب (النعيم، 1992، ص249).

وأعتقد ربما كانت هناك عوامل أخرى قد دفعت اليمنيين إلى اللجوء للنقل التجاري البري دون البحر الأحمر، لعل أبرزها يكمن في المنافسة البحرية الضروس للتجار اليمنيين فوق مياه هذا البحر من قوى

عديدة، كالأحباش والبطالمة والرومان، هذا فضلاً لعامل آخر له وجاهته يتمثل في توافر الخبرة الواسعة للتجار اليمنيين بالطبيعة الجغرافية للطرق الصحراوية عبر الأودية الجافة، وأحياناً كانوا يضعون علامات ارشادية لتلك الطرق، بل والأكثر من هذا فقد كانوا يقومون بتبليط بعضاً منها تبليطاً حسناً بمهارة فائقة مستخدمين الأدوات التي تمكنهم من قطع الصخور وإقامة ممرات عبر الجبال (السنوي، 2000، ص292).

كما أُرجح بداية استخدام اليمنيين لتلك الطرق إلى بواكير الألف الأول قبل الميلاد، استناداً على إنها كانت عوضاً عن الطريق التجاري البحري الذي كان مزدهراً عبر مياه الخليج العربي منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، والذي بفضله حدث الارتباط الكبير بين حضارات وادي السند وبلاد الرافدين، ومن خلاله ازدهرت حضارة ديلمون(*)، التي قامت بالبحرين والساحل العربي المقابل لها (مهران، 1988، ص199)، وأيضاً حضارة مجان ؛ الواقعة بسلطنة عمان (زايد، 1966، ص13)، وأدت عدة ظروف إلى تدهور التجارة عبر هذا الطريق الخليجي منذ أواخر الألف الثاني قبل الميلاد؛ وتمثلت أبرز تلك الظروف في انهيار حضارة وادي السند أمام هجمات القبائل الهندو أوروبية، ومن المؤسف بأن هذا قد تزامن مع فترة الاضطرابات السياسية التي عانت منها حينذاك بلاد الرافدين؛ خاصة وإن هاتين المنطقتين تشكلان عضوين محوريين بشبكة التجارة العالمية فوق مياه الخليج العربي، ولذا فكان على تجار العالم القديم حينئذً ضرورة الإسراع في إيجاد طريق آخر بديل يحل محل طريق الخليج العربي، علاوة على رهبة الملاحين القدامى من خطورة الملاحة فوق مياه البحر الأحمر، ولذا فلم يكن أمام التجار في تلك الفترة سوى الطرق البرية وبخاصة الطريق البرى الموازي لساحل البحر الأحمر، والمار عبر صحاري الجزيرة العربية، وهناك عدة ظروف ساعدت هذا الطريق الدولي على القيام بواجبه خير قيام، لعل أهمها يكمن في تركز زراعة البخور – مسعى العالم القديم بمنطقة جنوب شبه الجزيرة العربية – التي عُرفت منذُ أقدم العصور بموقعها الاستراتيجي المهم وبمكانتها التجـارية المرموق(**Orchard, 1982,p.4.**)، خاصة وأنه مع بداية الألف الأولي قبل الميلاد، بدأت تسطع على أرض اليمن شمس حضارة المعينين، الذين يعدون من أبرز الشعوب التجارية بالشرق الأدنى القديم، والذين ساهموا بدور بالغ في حركة النقل التجاري

(*) تُعتبر ديلمون من أشهر الحضارات التي عرفتها المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية، ويعود تاريخها طبقاً للمصادر القديمة للفترة الممتدة من منتصف الألف الثالثة حتى منتصف الألف الأولى قبل الميلاد، فأقدم الوثائق المسمارية التي ورد بها ذكر ديلمون لزمن الملك السومري " أورنانيش " – ملك لجش – الذي حكم حوالي عام 2520 قبل الميلاد، وفيه يقول: " إن سفن ديلمون القادمة من بلاد أجنبية قد أحضرت لي الخشب كهدية":
(Bibby ،1969,p.47).

عبر طريق البخور، ومن هذا المنطلق أرجح بأن بداية استخدام الطريق الرئيسي للبخور كان مع بداية الألف الأول قبل الميلاد، وذلك مع انهيار الطريق البحري الدولي القديم.

هذا وقد تعددت الطرق التجارية التي كانت تجتازها قوافل التجار اليمنيين إلى بلاد الرافدين عبر الأودية الجافة، ومن أشهرها واديا الدواسر(**) والرمة (***)، حيثُ كانوا يستهلون رحلاتهم بوادي الدواسر الذي يبدأ مسيره من الشمال الشرقي لبلاد اليمن، ويتوجه نحو وسط شبه جزيرة العرب، ومن هناك كانت تواصل القوافل اليمنية رحلاتها عبر وادي الرمة(**lewis,1950,p.22** .)، وإن كان هناك طريق آخر كانت تلك القوافل اليمنية لا تسلك من خلاله أحياناً وادي الرمة، وكان يبدأ المسير عبر هذا الطريق من مدينة نجران ومنها إلى وادي الدواسر والأفلاج ثم إلى أرض اليمامة، ومنها إلى الجرهاء ثم ثاج، وينتهي ببلاد الرافدين (البكر،1982م، ص15).

وجدير بالذكر أن الجرهائيين قد لعبوا دوراً كبيراً خلال ذلك الطريق التجاري الأخير، فكانوا كثيراً من الأحيان لا يكتفون بأن تكون مدينتهم مجرد محطة عبور، يستريح بها رجال القوافل اليمنية، والتزود بالماء والزاد، بل كانوا يشترون سلعهم التجارية، ويحملونها بأنفسهم إلى بلاد الرافدين**1) Doe, 1983, p.10**)، عن طريق ميناء تريدون على الفرات (النعيم، 1992، ص232)، وقد أشار إلى هذا الدور الجرهائي(أجاثر خيدس) في كتاباته، من أن أهل الجرهاء كانوا يصدرون إلى بابل البخور وبكثرة (جميل، 1966، ص52)، كما سلكت قوافل التجار اليمنيين طرق أخرى إلى بلاد النهرين، منها ذلك الطريق المتوجه من أقصي الجنوب اليمني ماراً بمأرب ونجران ويثرب والعلا، ثم تيماء، التي تُعد أبرز تلك المراكز التي تتوجه من خلالها تلك القوافل إلى بلاد النهرين (**Lewis ,1950, p.22**)، وآخر كان يخرج من أرض اليمن متوجهاً نحو مكة(*) ويصل إلى حائل وعندها يتفرع إلى فرعين: أحدهما يصل إلى مصب نهر الفرات ماراً بموقع بريدة، والآخر يسير نحو بابل ماراً بعدد من المواقع مثل « السفن وفيد»،

(**) وادى الدواسر: ورد ذكره في كتابات الكلاسيكيين، فأطلق عليه بطلميوس " وادي اللار " (lar)، يبدأ منبعه من مدينة نجران، ويصب في الخليج العربي، ويُعتقد بأن ذلك الوادي الجاف كان في زمن بطلميوس نهراً جارياً: (العبودي، 1990م، ص137).

(***) وادي الرمة: هو وادي عظيم من أودية شبه الجزيرة العربية، وتنتهى فيه معظم الشعاب والأودية، وقد كان في الماضي، نهرا يجري نحو الخليج العربي، وينتهي عند جبل سنام بجوار شط العرب (الوليعي، 1416هـ، ص104).

(*) مكة: عرفت مكة في المصادر القديمة بأسماء عدة ؛ فقد ورد ذكرها بالكتابات المسندية باسم " مكربة "، وهى تعنى " التقديس والتقريب " أو " هيكل القربان "، بينما عُرفت عند البابليين بلفظة "مك" بمعنى " البيت "،وعند المصريين القدماء بلفظة "مكة "، وتعنى " الحماية والسلامة ": (صالح، 1988م،ص198.)،اما الكتاب الكلاسيكيون فقد ذكروها باسم " ماكورب "ا، وذلك طبقاً لما ورد فى جغرافية بطليموس : .(Lewis,1950,p.34) .

وقد أصبح هذا الفرع الأخير فيما بعد طريقاً رئيسياً للحج والتجارة وقد عرف بـ " درب زبيدة "[(**)]، في العصر الإسلامي (يحي، 1988م، ص319).

2- السلع:

تعددت السلع التي دخلت في تجارة بلاد اليمن الداخلية، والتي شكلت عماد تجارتها الخارجية، حيثُ يعد البخور من أهمها، ويُعتبر كلاً من المر واللبان من أهم أنواعها (مونرو،1976،ص33)، واشتهرت بزراعتهما بصفة خاصة منذُ أقدم العصور(**Wright, 1855,p. 2**)، وذلك طبقاً لما أشار به العديد من الكتاب الكلاسيكيين؛ فيذكر سترابون (66 ق م – 19م)عن هذا بقوله: " يعد اللبان والمر من أهم المنتجات الموجودة هناك...." (**strabo 1966, p.347**)، ويؤكد هذا كذلك ديودور الصقلي بقوله: « ...يعد المر واللبان هناك من أثمن الأشياء للآلهة ويصدر لكل الشعوب القاطنة البعيدة عن أرض أنتاجه.....» (**SiciLy ,1953,p.47**). فضلاً عن هذا فهناك أنواع أخرى من المواد العطرية دخلت في تجاره اليمنيين، منهاك الأذخر، اللاذن، الضرو، الكمكم، المقل، الكندر، قصب الذريرة ودم الأخوين (النعيم، 1992، ص237، 238.) والكاسيا (**Sicily,1953, p.47**)، علاوة على " البلسم"، الذي ذكره سترابون (**strabo ,1966, p.365**)، بالإضافة لذلك دخلت الكثير من الأحجار الكريمة في التجارة اليمنية لعل من أشهرها العقيق اليماني (النعيم، 1992،ص 242) الذي يعد من أهم تلك الأحجار(**Crichton, 1833, p.176.**).

كما راجت تجارة حجر الجزع الذي دخل في أغراض عدة، أبرزها استخدامه كفصوص لتزيين الحلي، كالخواتم والعقود، وكذلك المعـادن التي برع اليمنيون في استخلاصها وصهرها، وحملها في قوافلهم لمختلف مناطق الشرق الأدنى القديم، ويعد الذهب من أهم تلك المعادن (**sicily , 1953, p.49**)، بالإضافة للنحاس، واشتملت التجارة اليمنية على الكثير من السلع المصنوعة من الحديد وبخاصة السيوف اليمنية، التي ظلت لفترة طويلة ذات سمعة طيبة (علي، 1993، ص517)، هذا وقد كانت الفضة أيضاً من ضمن السلع التي دخلت في التجارة اليمنية (مهران،1967م، ص124)، كما راجت تجارة الرقيق، حيث كان يُعد العبيد حينذاك من الشرائح الاجتماعية المهمة التي كان يعتمد عليها اقتصاد تلك البلاد، كما كانت التمور من السلع المهمة التي تاجر بها عرب اليمن، والتي لاقت قبولاً كبيراً بالأسواق التي كانت تقصدها قوافلهم، هذا بالإضافة الى الملح والجلود كجلود الإبل والأغنام والحيوانات المتوحشة كالأسود والنمور(الكرخى،1961م، ص 26).

[(**)] زبيدة هي زوجة هارون الرشيد وأم الخليفة الأمين، وهي التي أمرت بإعادة تعمير هذا الطريق القديم، وحفر الآبار والاستراحات عليه، وأصبح هذا الطريق درباً للحجاج (شرف الدين،1984م، ص 253.)

فضلاً عما سبق فهناك سلعاً أخرى أيضاً حملها اليمنيون عبر قوافلهم التجارية، منها المحلى كالخمور" (النعيم، 1992، ص234)، والبعض الأخر كان مجلوباً من الخارج، وأهمها اللؤلؤ الذى أحتل مكانه مهمة بين السلع المجلوبة من الخارج؛ فكان يأتي من منطقة الخليج العربي إلى الموانئ اليمنية (الشربتلى، 2004، ص93) ، علاوة على حمل تجار اليمن لسلع أخرى وافدة عبر قوافلهم التجارية، كان من بينها القرفة التي تُنتج بالهند (زيدان، 1979م، ص 212)، ومنها كذلك خشب الصندل الذي جلبه التجار الهنود إلى بلاد اليمن، علاوة على ريش النعام والعاج اللذان يعدان من أبرز السلع الأفريقية التجارية (النعيم، 1992، ص265)، وكذلك زيت السمسم؛ القادم من بلاد الهند طبقاً لما ذكره صاحب الطواف حول البحر الأريثري، بأن تلك السلعة كانت تأتي إلى ميناء موشا بظفار (النعيم، 1992ص243).

هذا وقد حرص ملوك آشور حرصاً بالغاً على تأمين وصول السلع اليمنية إليهم، فسيطروا من أجل ذلك على المنطقة الشمالية من بلاد العرب، ولذا فقد خاضوا حروباً عديدة ضد هؤلاء الملوك؛ فقد ذكر شلمانصر الثالث (شلمانوا شاريدو) – لقب ديني بمعنى " الإله شلمانو هو الرئيس " –كما أطلق الملك على نفسه لقب " أوشوم جال " بمعنى " الأفعوان الكبير " – (**ANET, 1950, 276**) (858–824 ق.م)، أنه اشتبك في معركة تعرف باسم " قرقر" عام (853 ق.م) بشمال حماة (أحمد فخري، 1985م، ص138)، وكان من بين الأطراف[*] المتحاربة والمتحالفة ضده زعيم من مشايخ الأعراب يدعى جندب العربي[**]، وذلك طبقاً لما ورد بهذه الكتابات (برو، 1988م، ص49) فيما نصه: « قرقر مدينته الملكية هدمتها ودمرتها، وأحرقتها بالنار، واستوليت على 1200 عجلة، 1200 فارس، 20.000 جندي... ونحو 1000 جمل لجنديبو العربي...». **Luckenbill, 1, 1926.223**)، ويبدو أن سبب اشتراك جندب ف هذا التحالف؛ كما يرجح البعض من المؤرخين هو خشية عرب الشمال من سيطرة الأشوريين على القوافل التجارية القادمة من جنوب بلاد العرب، وذلك في حالة استيلاء شلمانصر الثالث على مدينة دمشق (الهاشمي، 1978 م، ص643).

[*] جدير بالذكر بأن تلك الأطراف التي حارب بجانبها جندب العربي في معركة قرقر كان يتزعمها ملك دمشق الذي يدعى " بن هدد " حوالي (876–853ق.م)، ومعه حلفا تكون من اثني عشر ملكا منهم ملك حماة وآحاب ملك إسرائيل (موسكاتي، 1986، ص348).

[**] جدير بالذكر بأن أول ظهور للفظة " عربي " بالنصوص التاريخية يعود إلي ذلك النقش، وإن كان هناك من الباحثين من يحتمل ورود تعبير قريب من لفظة العرب، ورد في نص مسماري، يرجع إلى عهد الملك نرام سين الأكادي خلال القرن الثالث والعشرين ق.م، وإن كانت قراءته لاتزال مثيرة للجدل:(صالح، 1999 م، ص 136)، ووردت لفظة عرب بالقرآن الكريم بصيغة إعراب: (Margoliouth, and Litt , 1924, .p.3).

هذا ولم يقتصر حرص الملوك الآشوريين في السيطرة على شمال بلاد العرب وطرق القوافل اليمنية المارة، بل اضطروا كذلك إلى الدخول في حرب طاحنة ضد الملكات العربيات القاطنات بتلك المنطقة، وأيضاً مع القبائل العربية الضاربة هناك، ولعل هذا يبدو واضحاً في الكثير من حوليات الملوك الآشوريين، وبخاصة ما يعود إلى الأسرة السرجونية، فقد ورد في حوليات سرجون الثاني التي ترجع للسنة الأولى من حكمه، تسلمه الأتاوه من سمسي – ملكة العرب – (باقر، 2009، ص154).؛ وأشار إلى أنه داهم أيضا قبائل ثمود(***)، وعباديد ومرسمان وخبايا (الهاشمي، 1978م، ص646)، وذلك طبقاً لما ورد بنصه (****) الذى يرجع لعام 715ق.م من حكمه (الشتلة،1980م، ص 190)، ساعياً من وراء ذلك إلى فرض نفوذه التجاري بتلك المنطقة الشمالية من بلاد العرب وأيضاً لتأمين الطرق التجارية للقوافل القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية من خطر تلك القبائل الضاربة عبر هذه المنطقة **(Oleary , 1927, P.51)**، وسار ولده سنحاريب (704–681 ق.م) على نفس تلك السياسة في تدعيم نفوذه التجاري بالمنطقة الشمالية، حتي يضمن هو الأخر سيطرته الفعالة على سلع جنوب بلاد العرب، فأخضع القبائل العربية القاطنة هناك، وقد ورد ذلك في كتاباته فيما نصه: "...في طريق عودة جيشي، حاربت قبائل دتيمونا وريهيهو ويداكو وعبود وكبيري وأملاخو وكوردمو...والأنباط(*)... الذين لم يخضعوا لنا وأخذتهم كعبيد» **(Luckenbill, II, 1927, P. 132)**

(***) يُعتبر الآشوريون هم أول من أشاروا إلى الثموديين في كتاباتهم بلفظة " ثمودي " منذ أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، على أنهم أعراب لم يألفوا الخضوع للملوك والحكام، وأتفق المؤرخون المسلمون على أن أهم ديار ثمود كانت بوادي القرى فيما بين الحجاز والشام، ورووا بأن النبي (ص) قد مر بجيشه على خرائب ديارهم في الحجر ونهي المسلمين عن دخولها، أثناء غزوة تبوك: (صالح، 1988م، ص155).

(****) أشار سرجون لجزيه تلك القبائل وذلك فيما نصه: " إن قبائل ثمود وعباديد ومرسمان وخبايا من قبائل العرب سكان البادية الذين لم يصل خبرهم إلى حكيم ولا عالم ولم يدفعوا الجزية لأحد قبلي، جلبتها كل هذه الأمم باسم آشور الهي..." (الشتلة، 1980م ص 190).

(*) الأنباط: أعتقد بأن هؤلاء الأنباط هم قبيلة كانت تقطن المنطقة الشمالية وليست دولة الأنباط المعروفة، حيث إن الدولة النبطية قد ظهرت في عصور لاحقه، ربما ترجع إلى ما بعد عصر الإسكندر الأكبر، حيث إن أول ذكر لهم ورد بالمصادر القديمة يعود مباشرة وتحديداً إلى عام 312ق.م؛ الذي شهد انتصار الأنباط على قوات انتيجونوس الذي خلف الاسكندر الأكبر المقدوني في سوريا، حينما فشل في الإغارة مرتين على مدينة البتراء والاستيلاء عليها، ويعد ديودور الصقلي أول من أشار لتلك المحاولتين (مهران، 1988م، ص 503).

فضلاً عن ذلك فقد قام هذا الملك بالسيطرة أيضاً على المراكز التجارية المنتشرة بتلك المنطقة الشمالية، ويتضح هذا في استيلائه على منطقة أدماتو[**]التي تعد من أبرز المراكز التجارية هناك، والتي استولي عليها أيضاً من بعده ولده أسر حدون (680-669ق.م)، بعد أن أسر ملكتها أسكلاتو(علي،1993، ص 591).

وقد اتبع أيضاً ملوك دولة بابل الكلدية نفس السياسة الآشورية السالفة في اهتمامهم بالتجارة مع بلاد اليمن بعد سقوط مملكتهم[***]، لا سيما وأن أصولهم ربما ترجع يحملون لقبائل يمنية (بوتس، 1983، ص69)، ولذا حرصوا بصفة دائمة في السيطرة على المنطقة الشمالية لضمان سطوتهم على السلع اليمنية التي تصل إليها عبر القوافل القادمة من الجنوب والشرق، لذا تمت سيطرتهم على المراكز التجارية القائمة بتلك المنطقة، وأهمها بلا شك مدينة تيماء[****]، التي تُعد أهم المحطات التجارية الواقعة في طرق القوافل القادمة من اليمن إلى بلاد الرافدين (ترسيسي، 1990م، ص91)، والتي سبق للأشوريين أيضاً بأن استولوا عليها، وذلك طبقاً لما ورد في كتابات الملك الاشوري تجلات ثبلزر الثالث الذي أشار في كتاباته بأنها كانت ضمن من قدم إليه الجزية **(Potts,1982, p.284)**، وقد مارس الكلدان نفس السياسة الآشورية تجاه هذه المدينة (تيماء)، وظهر ذلك واضحاً في عهد ملكهم نبونائيد (555-539 ق.م) والذي أشار في نقوشه[*] إلي استيلائه على هذه المدينة عام 549 ق.م، الواقعة على طرق التجارة القادمة من جنوب بلاد العرب **(Tarn,1929,p.11,12)**، وكانت تقع هذه المدينة على الطريق

(**) أدوماتو: تُعرف اليوم بـ " الجوف " أو " دومة الجندل "، وكانت تسمى قديماً لدي الآشوريين بلفظة " أدماتو "، وجاء ذكرها في التوراة بلفظة " دومة " (الأنصاري،1975م، ص80)، وقد وردت في جغرافية بطلميوس بـ" doumatna Adomatho "، وعُرفت في المصادر العربية بـ" دومة الجندل " نسبة إلى " دوم " أو " دومان " أو " دوما " أو " دوماء "، بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، وقد نسبوها إلى الجندل لأنه يوجد بها حصن مبني بالجندل وهو الصخر (مهران، 1967، ص487).

(***) أُسقطت الدولة الآشورية عام 612 ق.م، بعد سقوط العاصمة الآشورية نينوى، تحت ضربات التحالف الميدى بالهضبة الإيرانية وقبائل كلدو بأقصى جنوب بلاد النهرين، وتأسست آخر سلالة وطنية حاكمة اتخذت من بابل عاصمة سياسية، عُرفت باسم " دولة بابل الكلدية " أو " العصر البابلى الحديث " أو " أسرة بابل الحادية عشرة " خلال الفترة (626-539ق.م) (يحي، 1988، ص414).

(****) تيماء: تقع المدينة حالياً بالمملكة العربية السعودية، تبعد بمسافة 260 كم جنوب شرق تبوك ونحو 300 كم غرب الجوف و500 كم شمال غرب العلا (أبو درك، 1986، ص2).

(*) ورد بنص للملك نبوئيد ما يُشير إلى استيلائه على مدينة تيماء في قوله: "...واتجه إلى تيماء في وسط بلاد العرب، وسارت الحملة على طريق لم يعهد من قبل، وذبح أمير تيماء بالسيف...ثم استقر في تيماء...وجعلت هذه المدينة رائعة وحولتها الى ما يشبه قصور بابل: (Iuckenbill,1927, p.53)، ولم يكتف الملك فقط باستيلائه علي تيماء،- ذلك المركز التجاري - بل حاول من خلالها فرض سلطانه على مراكز تجارية أخرى، يستدل على ذلك من خلال تلك المسلة التي عُثر عليها في حران، وعليها كتابة تشير الى حملته على تيماء وإقامته بها عشر سنوات :(رشيد، 1973م،ص116).

التجاري بين ساحل البحر المتوسط والشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية ومنها لبلاد الرافدين (صالح، 1967، ص 561)، وذلك ليتخذها مركزاً تجارياً ثانياً للكلديين على غرار المراكز المعينية والسبئية الواقعة شمالي الحجاز (الهاشمي، 1985م، ص212)، وقد شيد هذا الملك الكلدي قصراً فخماً يشبه قصره الموجود ببابل، وعاش بها مدة عشر سنوات، تنقل خلالها بين داداتو (ديدان وهى العُلا حالياً، فدك، خيبر، باديخو (بديع وهى الحويط الحالية) (الأحمد، 1983، ص 175)، كما ترك بها مجموعة من الآثار أهمها مسلة كبيرة تعود إليه تُعرف بمسلة تيماء (الأنصاري،1975، ص80) .

وقد تدفق الكثير من التجار البابليين إلى أرض اليمن محملين بسلع بلاد الرافدين، وعلى رأسها المنسوجات الصوفية المصنعة، التي كانت تعد العمود الفقري لصادرات العراق القديم، ومن المظاهر الأخرى للعلاقات التجارية المزدهرة بين بابل الكلدية واليمن (**Hawkes,1973, p.114**)، وكان لا يكتف البعض من هؤلاء التجار بالإقامة ببلاد اليمن بل عبروا سواحلها أحياناً إلى الشاطئ الأفريقي المقابل، بدليل ما عُثر عليه هناك من قطع أثرية بابلية؛ يتمثل أشهرها في القرن البابلي (كان يتخذه البابليون رمزاً للقوة)، حيث عثر في جزيرة " لامو " (**lamu**) المقابلة للساحل الكيني على قرن من البرونز يشبه تماماً القرون التي كانت تظهر على تيجان الملوك البابليين وآللهتهم كرمز للقوة، كما يوجد في متحف زنجبار قرنان آخران مصنوعان من الخشب (**Reusch, 1954,p.19**)، والجدير بالذكر في هذا المضمار حرص الملوك السبئيين الزائد على استخدام الأساليب العسكرية الآشورية والبابلية لتأمين سلامة قوافلهم التجارية المتوجهة إلى بلاد الرافدين وتدعيم نفوذهم التجاري هناك طبقاً لما جاء من خلال نقش يمني موسوم بـ " شرف الدين 44 "، عُثر عليه في صعدة[**]، يعود للملك السبئي " شمر يهرعش" [*]، قد سجله قائده المدعو " ريمن ذحزقرم "، حيث يشير بالوصول في فتوحاته إلى جنوب بلاد الرافدين، وحدد ذلك بأرض تنوخ والتي منها قد توجه لمدينتي قطوسف وكوك التي يرجح أنهما مدينتي قطيسفون وسلوقية (المدائن) (عبد الله، 1999،ص59)

[**] ذكرها ياقوت على أنها مخلاف باليمن، بينها وبين صنعاء ستين فرسخاً وبينها وبين خيوان ستة عشر فرسخا، وأشار بأنها مدينة عامرة كان يقصدها التجار من كل البلاد، وكانت تحوي مدابغ الآدم وجلود البقر (الحموي،،1985م، ص 163، 164).

[*] أهتم الإخباريون العرب اهتماما كبيرا بشخصية شمر يهرعش، فذكروا عنه الكثير من الادعاءات التي تفتقر تماما إلى الدقة التاريخية، فأشاروا إلى أنه قد عاصر سيدنا سليمان عليه السلام، وقد عمل في خدمته (الهمداني، 1931، ص253)، وتولى والده حكم اليمن عد وفاته عليه السلام الملقب لدى الإخباريين بـ " ياسر أنعم " (الطبري، د.ت، ص331)، وقد بالغ الإخباريون في ذلك الأمر فذكروا إن بلقيس نفسها كانت مجرد حاكمه تابعة لهذا الملك، وقد أقرها على مأرب حينما اعتلي العرش (الحميري، 1378هـ، ص 189).

وذلك بناء على تعليمات سيدة الملك السبئي شمر يهرعش ما نصه : (السعيد،2005م، ص 35،36)

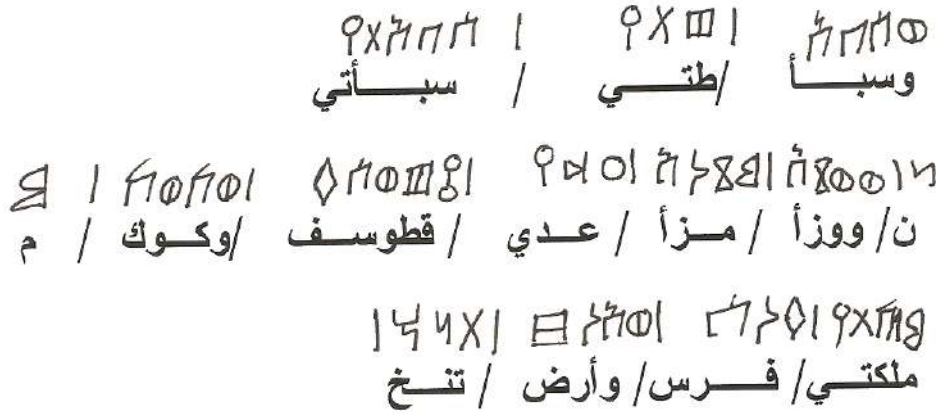

الترجمة :

"...شن الحملة، عزز ذلك بأن توجه نحو قطوسف وكوك التابعين للفرس وبلاد تنوخ."

رابعاً التأثيرات الحضارية التي انتقلت عبر التجارة بين المنطقتين:-

لعبت التجارة دوراً كبيراً في نقل الكثير من المؤثرات الحضارية بين المنطقتين؛ لعل أبرزها يتمثل في انتقال الكثير من المظاهر الدينية، التي يمكن استهلالها بتقديس العراقيين للبخور الذي يعد من أبرز السلع اليمنية التي حملها التجار اليمنيون، وذلك طبقاً لما ورد بالكثير من المصادر الآشورية القديمة، فقد عُثر في نينوي على رسوم عدة لقرابين من البخور تطلق أمام إله الشمس(عبد الله، 1990، ص224)، فضلاً عن ذلك، كانت تقدم كميات كبيرة من هذا البخور إلى المعابد، ويذكر هيرودوت في هذا الشأن بأن حوالي ألف تالنت (التالنت: وحدة أوزان= 30,3 كجم) (رشيد، 1988، ص 23) من البخور كانت تُحرق في العام الواحد على مذبح المعبد الكبير ببابل (**Sanger, 1954 , p. 332.**)، أيضاً قد وصلت عبر التجارة الكثير من آلهة بلاد النهرين لجنوب بلاد العرب، فربما كان الإله " سين " الذي عبد بمنطقة حضرموت يماثل الإله " سين " العراقي (بركات، 1986م، ص 38)، ولم يقتصر ذلك على التسمية فقط، بل كل منهما يرمز للقمر(موسكاتي، 1986، ص 255)، وقد عُبد هذا الإله بالعديد من حضارات بلاد النهرين بنفس التسمية، فقد عرف في العصر السومري باسم "سين" أو "نانا" وأحياناً كان يعرف حينذاك بالاسمين معاً " سين . نان "، وعبد كذلك عند الأكاديين تحت اسم " سين " (**Black, and Green,1992, p.135**)، ويتشابه معبد هذا الإله الموجود في حضرموت بمنطقة حريضه والذي يعود تاريخه إلى ما بعد القرن السادس قبل الميلاد بمعابد الإله الموجودة ببلاد النهرين، وبصفة خاصة في مدينة بابل، ولا سيما في اتجاه زواياه إلى الجهات الأربع، وفي طرز مناضد المذابح والقرابين (باقر، 1949، ص152، 153).

إضافة إلى هذا فمن المظاهر الأخرى التي يمكن اعتبارها مؤثرات دينية انتقلت عبر التجارة بين هاتين المنطقتين، أن أسم " عم " – إله مملكة قتبان – كان مستخدماً على نطاق واسع بالعراق القديم، فعلي سبيل المثال كان يدخل ضمن الأسماء البابلية مثل "عم – صدوقا" و"عم . ديتان "ا(باقر،1949، ص154).

وربما كان تدفق الكثير من التجار اليهود الموجودين ببابل منذُ الأسر البابلي(*) إلى بلاد العرب سبباً من انتشار اليهودية (**Reusch,1954 ,p.21**)، وبخاصة كما أعتقد إلى بلاد اليمن، وذلك استناداً إلى أنها كانت بؤرة لليهودية بجزيرة العرب، كما استقر العديد من التجار الكلدان باليمن، وسيطروا على التجارة التي تعد عصب الحياة هناك ((**Mekouria, 1981, p.412.**' ومما لا شك فيه أن هذا قد ساهم في نقل اليهودية لأرض اليمن، لأنه من المحتمل أن البعض من هؤلاء التجار الكلدان كان على اليهودية.

كما انتقلت عبر التجارة الكثير من التأثيرات الفنية المتبادلة بين بلاد الرافدين واليمن، لعل من الأدلة التي تؤكد ذلك، هو وجود كؤوس مصنوعة من قشور بيض النعام بكلتا المنطقتين؛ حيث عُثر على ما يماثلها في المقبرة الملكية بأور ببلاد النهرين، وقد كانت هذه الأواني مطعمة بشرائط من الصدف الأبيض والملون (الهاشمي، 1978، ص23)، ومن النماذج الأخرى أيضاً العثور باليمن على مبخرة مزينة بزخارف شائعة بالفن البابلي، عبارة عن وعلين كبيرين يعلوهما وعلان صغيران يأكلان من أوراق شجرة (**Fakhry , 1952, p.126**) وذلك كما في (الشكل رقم1)، كذلك عُثر بالوركاء في جنوب بلاد الرافدين على ختم أسطواني يعود للقرن الثامن قبل الميلاد، مُدون عليه كتابات مسندية (الأحمدي، 1985م، ص300)، وكانت رأس الثور المنتشرة بالفن اليمني القديم من الأنماط الشائعة المعروفة بالفن العراقي، نتيجة لتلك الاتصالات التجارية؛ ولعل ويتجلى ذلك في تلك اللوحة اليمنية المحفوظة الآن بالمتحف الوطني بصنعاء، والتي تحوى نقشاً بارزاً لوجه ثور ظهر من خلاله مدى اهتمام الفنان اليمني بتجسيم ملامح هذا الوجه (بركات،، 1988م، ص86)، (شكل رقم2)، وعثر كذلك ببلاد النهرين على ما يماثل هذا النمط الفني اليمني، والذي يتجلى في تلك القيثارة التي شُكلت على هيئة رأس الثور (اشكل رقم3)، والتي عثر عليها بالمقبرة الملكية بأور(الشاروني،1996م،ص33) (تل المقير حالياً) (موسكاتي، 1986، ص255)

الخاتمة :

(*) يرجع الأسر البابلي إلى الملك الكلداني نبوخذ نصر الثاني، وذلك عام 586ق.م حينما حاصر أورشليم ونجح في تدميرها وسبي أهلها ونقلهم ما بين بابل وأشور: (سعد الله ، 2005، ص262.)

ـ كانت التجارة قديماً حلقة وصل حضارية أولى بين ممالك العالم القديم، لم يقتصر دورها على مجرد نقل السلع التجارية بل تعدى ذلك إلى التأثير والتأثر في العديد من المظاهر الحضارية؛ كالدين والثقافة والفن وغيرها، وقد لعبت في ذلك التجارة اليمنية دوراً بالغ الأهمية في هذا المضمار، فنقلت الكثير من المؤثرات الفنية من بلاد النهرين إلى شرق أفريقيا.

ـ يتضح من خلال ازدهار التجارة اليمنية مدى النظرة الخاطئة من الغرب لشعوب وقبائل جزيرة العرب بصفة عامة، على أنهم كانوا عبر التاريخ مجرد بدو رحّل قليلي التحضر، فمما لا شك فيه أن هذا يتعارض تماماً مع تلك العقلية التجارية اليمنية البارعة، والتي طاف بفضلها عرب بلاد اليمن مختلف أرجاء الشرق الأدنى القديم، ناقلين من خلال ذلك الكثير من المظاهر الحضارية إلى تلك المناطق.

ـ لم تكن ممالك جنوب بلاد العرب فيما قبل الميلاد مجرد منطقة هامشية بمعزل عن الأحداث الكبرى التي تأثرت بها منطقة الشرق الأدنى القديم، فقد عانت كغيرها من المتغيرات السياسية وما تمخض عنها من نتائج.

ـ وفى ختام هذا البحث أُوصى بضرورة زيادة الأبحاث والتنقيبات الأثرية بجنوب بلاد العرب، للكشف عن الكثير من الحقائق الغائبة عن الباحثين والمؤرخين، خاصة مع عدم وجود تقويم موحد مثلما هو الحال مع الحضارات الأخرى كمصر والعراق والشام وغيرها باستثناء التقويم الحميري.

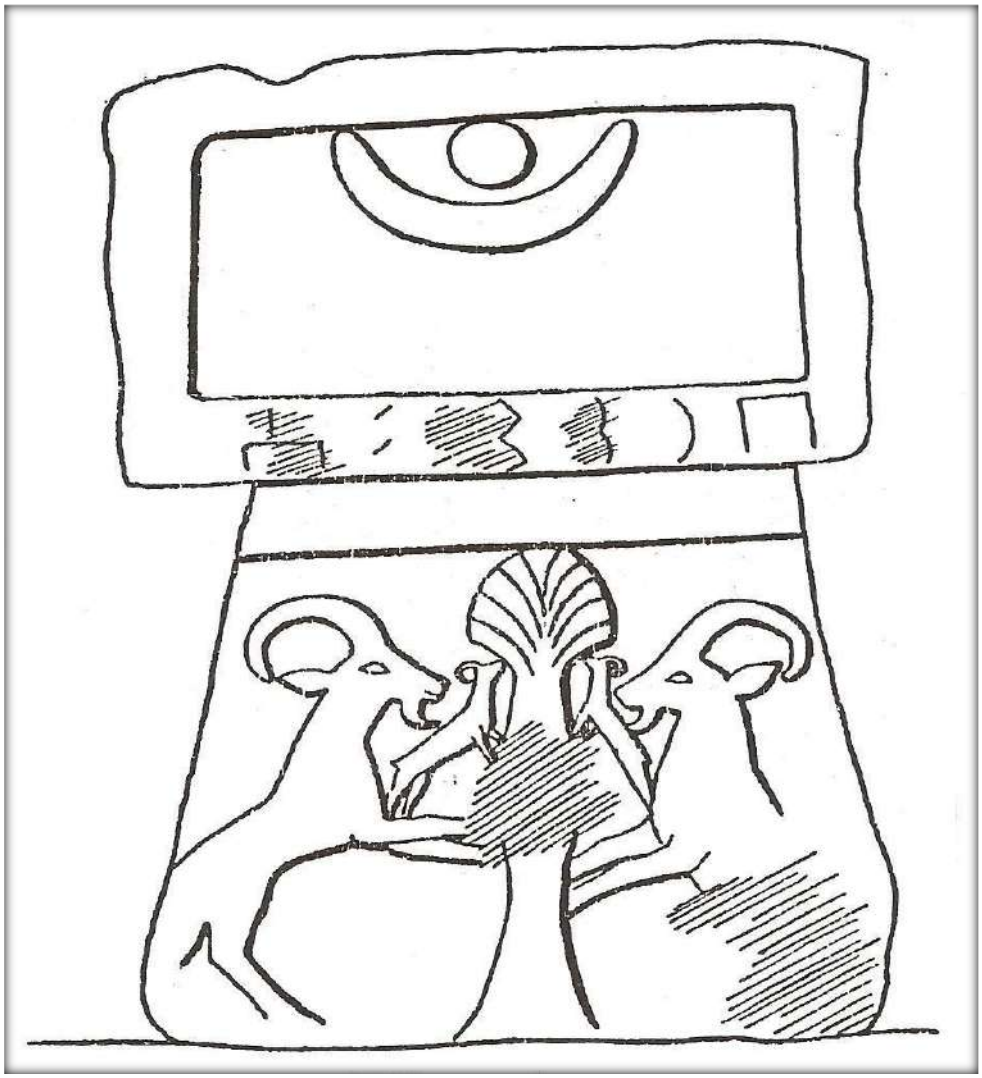

شكل رقم (1)

مبخرة يمنية تحمل تأثرات فنية بابلية، نقلا عن :

Ahmed Fakhry, op.cit ,p. 126.

شكل رقم (2)

لوحة يمنية تحتوي على وجه ثور مجسم بارز .

نقلا عن : أبو العيون بركات، الفن اليمني القديم، ص 98

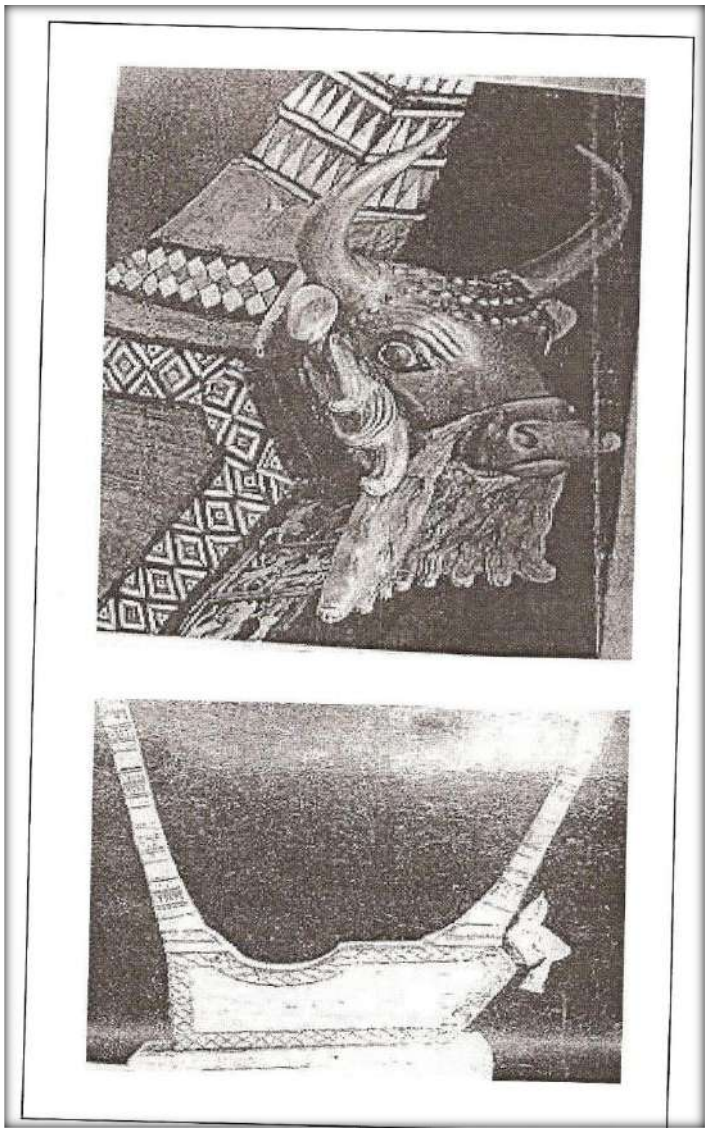

شكل رقم [3]

شكل قيثارة بابلية من أور شكلت مقدمتها على هيئة رأس ثور.

نقلا عن : صبحى الشاروني، مرجع سابق، ص 33

مصادر ومراجع البحث

أبو درك، حامد إبراهيم. (1986م). مقدمة عن آثار تيماء، الرياض.

الأحمد، سامي سعيد. (1983). سلالة بابل الحديثة (626–539 ق. م) . العراق في التاريخ. بغداد.

الأحمد، سامي سعيد. (1985م). تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي. جامعة البصرة.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب. (1975). لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية. مجلة الدارة. (ع1). الرياض.

البكر، منذر عبد الكريم.(1982م). لمحات من الصراع العربي الفارسي قبل الإسلام. المؤرخ العربي. (ع 21). بغداد.

الحموي، ياقوت. (1985م). البلدان اليمنية. تح : إسماعيل على الأكوع. الكويت.

الحميري، نشوان بن سعيد.(1378هـ). السيرة الجامعية لعجائب أخبار الملوك التبابعة. تح: السيد على بن إسماعيل المؤيد والسيد على بن أحمد الجرافي، القاهرة.

الخلف، جاسم محمد. (1961م). محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية. (ط 2). معهد الدراسات العربية والعالمية، جامعة الدول العربية، القاهرة.

السعيد، السيد محمد.(2005م). شمر يهرعش وتأسيس الوحدة اليمنية في ضوء النقوش المسندية. (ع50). مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق.

السنوي، معتصم زكي.(2000م). الحياة الاقتصادية قبل وبعد ظهور الإسلام في الجزيرة العربية. مجلة التربية. (ع133. 134. السنة 29.

الشارونى، صبحي. (1996م). فنون الحضارات الكبرى. ج2.(ط2). الأنجلو.

الشتلة، إبراهيم يوسف. (1980م). الثموديين. الدارة. (ع4). السنة 5. الرياض.

الشربتلي، أحمد أمين جمعة. (2004). اليمن ودورها في النشاط الحضاري. مجلة المؤرخ العربي. مج 1. اتحاد المؤرخين العرب. القاهرة.

الصفدي، هشام وآخرون. (1988م). الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي. الرياض.

الطبري، أبى جعفر محمد بن جرير. (د.ت). تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك. مج1، ط6. دار المعارف القاهرة.

العبودي، ناصر حسين. (1990م). " الخليج العربي في المصادر اليونانية القديمة " : الامارات وعمان "، مجلة دراسات، (ع1)، الشارقة.

القيسي ربيع ؛ الشكري صباح. (1981م)، دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليماني. وزارة الإعلام والثقافة. بغداد.

الكرخى، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخرى. (1961م). المسالك والممالك. تح: محمد جابر عبد العال الحيثي. القاهرة.

المسعودي، أبو الحسن على بن الحسن. (1987م). مروج الذهب ومعادن الجوهر. تح: محمد محي الدين عبد الحميد،ج2.

النعيم، نوره عبد الله العلي. (1992م). الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي. الرياض.

الوليعي، عبدالله بن ناصر. (1416هـ). جغرافية هضبة نجد الرسوبية. دراسة لحافاتها وأوديتها. الدارة.(ع4). السنة 21، الرياض.
الهاشمي، رضا جواد. (1978م). العرب في ضوء المصادر المسمارية. (ع22). مجلة كلية الآداب. جامعة بغداد.
الهاشمي، رضا جواد. (1985م). التجارة، حضارة العراق. (ج2). بغداد.
الهمداني، أبي محمد الحسن بن أحمد. (1985م) الأكليل. تح: أنستاس ماري الكرملي البغدادي، ج8، بغداد.
أوليري، دي لأسي.(1962م). علوم اليونان وسبل انتقالها للغرب. تر: وهيب كامل. النهضة المصرية. القاهرة.
باقر، طه. (1949م). علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب. سومر. مج 5، ع 2. بغداد.
ـــــــــــ.(2009). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. ط 1. دار الوراق، لندن .
بركات، أبو العيون.(1986م. ديسمبر). الوعل في الحضارة اليمنية القديمة. مجلة اليمن الجديدة. السنة 15، صنعاء.
ـــــــــــــ. (1988م). الفن اليمني القديم. مجلة الاكليل. (ع 1). السنة 6. صنعاء.
برو، توفيق. (1988م). تاريخ العرب القديم. دمشق.
بوتس، دانيال.(1983م). تاج في ضوء الأبحاث الحديثة 1402-1982. (ع7). الأطلال. حولية الآثار العربية. السعودية.
ترسيسي، عدنان.(1990م). بلاد سبأ وحضارات العرب الاولى. ط 2. دار الفكر. دمشق.
تسيركسين، ب. (1988م). الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ت:ريوسف أبي فضل، بيروت.
جميل، فؤاد. (1966م). الخليج العربي في مدونات المؤرخين البلدانيين الأقدمين. مج22 . سومر. ج 1؛ 2. بغداد.
رشيد، صبحي أنور. (1973م). دراسة تحليلية للتأثير البابلى في أثار تيماء. سومر. مج 29. ج 2؛1. بغداد.
رشيد، فوزى. (1973). الشرائع العراقية القديمة. بغداد.
رو، جورج. (1986م). العراق القديم. ترجمة وتعليق، حسين علوان حسين. بغداد.
زايد، عبدالحميد. (1966م) . الشرق الخالد. القاهرة.
زيدان، جرجي. (1979م). تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت .
سعد الله، محمد على. (د. ت). تاريخ الشرق الأدنى القديم. الإسكندرية.
شرف الدين، أحمد حسين. (1984م). مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها. دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني. جامعة الرياض.
صالح، عبد العزيز.(1988م). تاريخ شبة الجزيرة العربية في عصورها القديمة. الانجلو. القاهرة.
ـــــــــــــ.(1999م). الشرق الأدنى القديم. ج1. مصر والعراق. القاهرة .
عبد الله، يوسف محمد. (1990م). أوراق في تاريخ اليمن وأثاره. ط 2. بيروت.
علي، جواد. (1993م). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.ج1. ط 2. مكتبة النهضة بغداد.
فخري، أحمد. (د.ت). دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم. القاهرة.
موسكاتي، سبتيمو.(1986م). الحضارات السامية القديمة. تر يعقوب بكر. دار الرقي. بيروت.
مونرو، اليزابيت. (1976م. مارس). الجزيرة العربية بين البخور والبترول. تر محمود محمد. الدارة. (ع1). السنة2، الرياض.

مهران، محمد بيومي. (1988م). دراسات في تاريخ العرب القديم. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية.

يحي، لطفي عبد الوهاب. (1984م). الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي. دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني. جامعة الرياض.

ـــــــــــــــــ .(1988م). العرب في العصور القديمة. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية.

المصادر الاجنبية:

- Diodorus of Sicily,(1953) ,vol .x11، BK.11.
- Luckenbill, D.D.,(1926, 1927), Ancient Records of Assyria and Babylonia, 2 vols. Chicago and Illinois.
- Pritchard, J. B., (1950), Ancient Near Eastern Texts Realating to the Old Testament, Princeton.
- Strabo(1966), The Geograpiy of Strabo ,transiated b Jones,H.L..vol.v11.BK.XV1.London.
-Barton, G.A.(1943),"Semitc and Hamitic Origins", London. Bibby ,G.(1969),looking for Dilmun, New york.
.-Crichton, A.,(1833), History of Arabia : Ancient and Modren , vol.I,Edinburgh.
- Black, J. and Green ,A.(1962) Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, London.
- Doe, B.,(1983) Monuments of South Arabia, New yor.
- Reusch, R.,(1954) History of East Africa, Evang Mission Sverlag.

Fakhry, A.,(1952), " An Archaeological journey to Yemen ", part , I , Cairo

Hawkes,J.,(1973)The First Great Civilizations, London.

- Hitti,P.,(1958) History of the Arabs, 6th .ed., London.

lewis, B.,(1950)The Arabs in History, London .

-Margoliouth, D.S., and Litt ,D.,(1924)The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam ,London.

-Mekouria, T .T ., (1981) "Christian Aksum", *General History* of Africa, Unesco,(voi.11.

-Orchard, J., (1982) " Finding the Ancient Sites in Southern Yemen" , vol.41, N.1, January, Journal of Near Eastern studies , the university of Chicago.

Potts,D.,(1982)," The Road to Meluhha",,vol., 41, N. 4, October, Journal of Near Eastern studies , the university of Chicago.

Sanger, R.H.,(1954) The Arabian Peninsula, Cornell Uni. Press, New york.

Tarn, W.W.,(1929) " Ptolemy II and Arabia", Vol. XV The Journal of Egyptian Archaeology, the Egypt Exploration society, London.

* * *

Yemen′s Commercial Relations with Mesopotamia and Its Civilizational Impact from the Mukarba Period to the End of the First Millennum BC

Salma khalifa Alzarog

History Department, Faculty of Arts, Alzaytona University, Tarhona, Libya

salmaalzarog6@gmail.com

Abstract

The trade played an important economic role in the Ancient Near East civilizations, for its geographical location and its topographical nature, so is the case for the Mesopotamia civilization, it was the first civilized link between the regions of the Ancient Near East, and its role was not limited to mere transfer of commercial goods, but wend beyond it to the civilization aspects. It is also evident through the role of the Arabs of Southern Yemen in human civilization, the wrong view of the West towerds them, and the best example of this rule is what was mentioned in the Holy Qur′an in addition to the archaeological evidence we have so far. The Arabs, in isolation from major events in their regional surroundings, they have suffered like other civilization Kingdoms from changes, especially political ones. In conclusion, more research and archaeological excavations must be condacted to extrapolate the history of this region correctly, especially with the absence of a calendar as the case with other civilizations, with the exception of the Himyarite.

Key words: Yemen trade, Mesopotamia, ancient Iraq, the era of Mukarba